عنوان المداخلة:

دور القائد الفرنسي " كـزافـييه كـوبـولاني " في تمكين الاستعمار الفرنسي في موريطانيا باستغلال ثقافته الإسلامية (الطرق الصوفية) منطلقا من الجزائر ما بين 1899-1905

الاستاذ الدكتور : علي غنابزية – قسم العلوم الانسـانية ــ
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

ـ المقدمة:

اهتمت المصالح الفرنسية في الجزائر بدراسة الإسلام واللغة العربية بواسطة العاملين في المكاتب العربية، ومصالح الشؤون الإسلامية، وتعدى ذلك إلى دراسة تاريخ المجتمعات المغاربية، والتعرف عن حياتهم الاجتماعية وتراثهم الفكري، وبرز عدد من الشخصيات الهامة التي كان لها الدور في استغلال معارفهم ولاسيما الانثرويولوجية، والتاريخية والتراثية، والخاصة بالطرق الصوفية، وتوظيفها للتمكين للاستعمار، واتسخاذها سبيلا لترسيخ أقدامه في الصحراء الجزائرية، وتجاوزتها إلى إفريقيا جنوب الصحراء ومنطقة الساحل.

ويعتبر القائد المغامر الفرنسي " **كـزافـييه كـوبـولاني** " من الشخصيات التي عاشت في الجزائر، وكتب عن الطرق الصوفية بها، وعرض على حكومته أن تتبنى مشروعا بمكن للاستعمار الفرنسي في موريطانيا، مستغلا ثقافته الدينية، ومعرفته الجيدة للغة العربية، وإمكانياته في التعامل مع المسلمين، وأخذ يستكشف المنطقة الغربية للساحل الإفريقي، واستطاع تحقيق رغبته، عندما صار مفوضا عاما في سان لويس بالسنغال، وهنا نطرح التساؤل المنطقي عن مراحل تواجده في منطقة الساحل، ومدى استماتته في خدمة بلادة، ومستوى الإخلاص لمشاريعها التاريخية، وكيف بقي مثابرا إلى آخر رمق في حياته، التي ختمها بالتمكين لفرنسا في موريطانيا.

إن دراسة مشروع كوبولاني، فيه عبرة كبيرة لنا، لأنه يظهر حجم التضحية التي امتلكها العدو في ديارنا، وما زلنا نستغل الدين من أجل أغراض مادية فقط، وهي لا تمثل شيئا عند العدو الذي يتربص بنا الدوائر، ولكنه استغل الدين للسيطرة على بلاد المسلمين. وفي هذا البحث نقدم التجربة الرائدة لتلك

الشخصية التي تستحق الدراسة بل المزيد من الاهتمام، لكونه فرنسي الأصل، عاش في الجزائر، وخدم بها فرنسا، وانتقل إلى موريطانيا، ومكن لبلاده، ووضع لها موطئ قدم ما زالت راسخة، رغم تضحيته بحياته التي صارت مفخرة في تاريخهم.

ومنهجيا لا يمكن التعرض لجهوده، إلا بتقديم لمحة عن الصراع الأوربي في منطقة الساحل، ودور فرنسا التي احتضنت المغامرين والمستكشفين الذين وظفوا في مهماتهم، بدقة ومؤازره المخابرات الفرنسية، وتدبيرها العسكري، واستطاعوا تحقيق أهدافهم ضمن المنظومة السياسية للدولة الفرنسية.

أولا ـ التغلغل الأوربي في الساحل الغربي الإفريقي:

شهد القرن الخامس عشر الميلادي بداية التوسع الأوربي في السواحل الغربية الإفريقية، وواكبته حركة تأسيس المراكز التجارية، وتحول ذلك إلى استعمار اقتصادي:

أ ـ التواجد البرتغالي: مثَّلَ الحضور الأوربي الأول في المنطقة، البرتغاليون الذين وصلوا إلى السواحل الشنقيطية على عهد هنري الملاح 1394،[1] وفي عام 1434 مرت سفن برتغالية برأس بوجادور في موريطانيا. [2]

وتمركز البرتعاليون في منطقة اركيه وتعرف عند الشناقطة بأكادير دور عام 1448، ثم توغلوا في البلاد في أدرار وودان. ثم ظهرت قوى أوربية أخرى هي هولندا وبريطانيا وفرنسا.

ب ـ ظهور القوى الجديدة: أنشأت هولندا شركة الهند الغربية الهولندية التي سيطرت على المحطات التي كانت بحوزة البرتغاليين، ومنها ميناء أركين في مطلع القرن 17 وميناء هدى، ثم احتدم الصراع بين الأوربيين، فانسحبت هولندا، وبقي التنافس بين فرنسا وبريطانيا حتى الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. [3]

2 ـ التواجد الفرنسي في الساحل الغربي الافريقي: نزلت فرنسا لميدان التنافس الاستعماري بإنشاء الشركات التجارية على غرار هولندا وانكلترا، وقامت الشركات بإقامة مراكز لرسو السفن، وأصبحت مراكز تجارية لشراء الزيت وسن الفيل والصمغ والعبيد. [4]

---

1) علي بدوي علي سالمان، **الطريقة القادرية والاستعمار الفرنسي في موريطانيا (1903-1960)**، رسالة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الإفريقية، بقسم التاريخ – جامعة القاهرة، 2003، ص 47.

2) ب. س. لويد، **إفريقيا في عصر التحول الاجتماعي**، عالم المعرفة، الكويت،1980، ص 53.

3) علي بدوي علي سالمان، المرجع السابق، ص ص 32-34.

4) جلال يحيى، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 168-170.

أ ـ تأسيس مركز سان لويس: كانت بداية النشاط الفرنسي القيام برحلات وصلت إلى السنغال، بقصد تأسيس محطات تجارية في هذه المنطقة، [1] ولاسيما عند مصب نهر السنغال، واختيرت جزيرة سان لويس (**Sant Luis**) سنة 1659م لتكون مركزا لقيادتهم، وشيد فيها الفرنسيون حصنا أنشئت حوله مدينة، وفي عام 1677 تمكنت فرنسا من الاستيلاء على حصن "أرجوين" و"جوري" الهولنديتين، وقد أصبح حصن "أرجوين" يومها مركزا تجاريا هاما، وصار حصن "الجوري" قاعدة بحرية رئيسية لفرنسا في غرب إفريقيا. [2]

ب ـ حكم فرنسا لمنطقة السنغال: وفي الفترة ما بين 1697–1720، تمكن المكتشفون الفرنسيون والتجار والبعثات التبشيرية تحت حكم القائد اندري برو(**André Brué**) من استخدام حصن القديس لويس وجوري كمراكز لفرض السيادة الفرنسية على منطقة شاسعة من غرب إفريقيا. [3]

وظل الحكم الاستعماري محصورا في الشواطئ،[4] إلى أن عين الكابتن[5] لويس فيدهيرب(Louis Faideherb) عام 1854 حاكما جديدا على السنغال، وكان له الحرية في التوسع مع نهر السنغال إلى الداخل، وخلال عشر سنوات من حكمه أسس حصونا فرنسية عديدة، وبعد رحيله منها سنة 1865، ظل الفرنسيون يمارسون نشاطهم في غرب إفريقيا لمدة خمس عشرة سنة. ولم يحققوا تقدما كبيرا، بسبب إفلاس حكومة نابليون الثالث، وفي الفترة ما بين (1870–1871) هزمت فرنسا هزيمة نكراء على يد بسمارك الألماني وظلت هكذا إلى سنة 1879. [6]

وبعد حروب طويلة استقر الأمر للفرنسيين بالسنغال في سنة 1895، وعينوا حاكما عاما على كل البلاد، بعدما وحدوا أراضيه، وبعد سنة فقط (1896) دشن خط سكة الحديد الرابط بين دكار بمدينة كاي [7]. وقد اتخذت السنغال منطلقا لإنشاء مستعمرة فرنسية باسم موريطانيا. [8]

---

1) شوقي عطا الله الجمل، وعبد الله عبد الرزاق إبراهيم، **تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر**، دار الزهراء، ط2، الرياض، 2002، ص 280.

2) فيج . جي . دي، **تاريخ غرب إفريقيا** ، ترجمة السيد يوسف نصر، دار المعارف، ط1، القاهرة، 1982، ص 146.

3) نفسه، ص 146.

4) إسماعيل العربي، **حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، 191.

5) صار جنرالا فيما بعد.

6) فيج . جي . دي، المرجع السابق، ص ص 312 – 313 .

7) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 191 .

8) علي بدوي علي سالمان، المرجع السابق، ص ص 32–34.

ج ـ احتلال فرنسا لموريطانيا: ظلت الأراضي الداخلية لموريطانيا مجهولة عند الأوربيين، ولم يدخلوا إليها إلا في أواخر القرن التاسع عشر، وكانت القرون السابقة للفرنسيين تتخللها حروب طاحنة بين الإمارات، وخاصة بين إمارتي البراكنة والترارزة، وكلاهما يريد التقرب من الفرنسيين الذي أججوا نار الصراع بين القبيلتين. [1]

وخلال الواحد والعشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر (1879– 1900) زحفت فرنسا بسرعة لتعبر السودان كله، بداية من السنغال وحتى نهر النيل، واشتركت في غزو الصحراء من الجزائر وحتى بحيرة تشاد، وربطت الفتوحات الجديدة بمراكزها التجارية في سواحل غينيا. [2]

ثانيا: دور الضابط كوبولاني في تثبيت الاستعمار الفرنسي في موريطانيا:

كانت فرنسا تسعى من أجل احتلال أكبر حجم من مساحة القارة الإفريقية، وهذا دفعها إلى إرسال المستكشفين ونظمت لهم الرحلات، ودعمتهم ماديا وعسكريا، وعملت في محورين:

ـ محور الصحراء الجزائرية إلى عمق السودان الغربي، وأهمها، رحلة الضابط فلاترز **(Flatters)** سنة 1880 أسندت له مهمة القيام باستكشاف لمد طريق صحراوي من الجزائر إلى النيجر وتشاد، وكللت رحلته الأولى بالنجاح، وقام برحلة أخرى سنة 1881، ولكن فلاترز قتل من قبل الطوارق، وقد مهد مقتله إلى سلسلة من الاغتيالات استهدفت الرحالة الأوربيين في الصحراء من طرف الطوارق. [3]

وقد أثارت نكبة فلاترز ورفاقه الانتباه إلى أهمية وضرورة إخضاع سكان الصحراء لأنه بدون ذلك يتعذر اكتشافها،[4] أو الاستفادة منها. [5]

ـ والمحور الثاني في السواحل الغربية الإفريقية، عندما كلفت ضابط البحرية بورل**(Bourrel)** في جوان 1860 أن يجوب أراضي البراكنة، ووجد تسهيلات من أميرها، وتعرف على أهم الأودية، وتلتها بعثات أخرى مثل بعثة ماج (**Mage**) بسيكوني عام 1860 للقيام بدراسة حول تكانت، فاتجه إلى أمير اودعيش، ولاحظ في مسيرته أهمية تكانت التجارية في المواشي والصمغ، ووصف الموريطانيين

---

1) إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 175 .

2) فيج . جي . دي، المرجع السابق، ص 313.

3) يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار البعث ، ط1، قسنطينة–الجزائر، 1980، ص 284–265.

4) ريمون فيرون، **الصحراء الكبرى**، ترجمة جمال الدين الديناصوري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ، 1963 ، ص 111.

5) علي غنابزية، **الكفاح السياسي والعسكري للثورة التحريرية بالصحراء الجزائرية 1954–1962**، أوت 1994، مخ، ص 26.

بالجبن واللصوصية والتمرد الأخلاقي. [1] إضافة إلى البعثات التي كانت تحت إشراف الحاكم فيدرب، مثل بعثة بول سولايي 1879 برحلة من سان لويس إلى الجزائر عبر أدرار، وتمكن من اجتياز إقليم الترارزة، ولكنه اسر، وأرغم على العودة إلى سان لويس، كذلك بعثة كاميل دول 1887، وتظاهر بأنه رجل مسلم وجمع معلومات هامة عن البدو. وأخيرا بعثة كزافييه كوبولاني 1899. [2]

1ـ التعريف بكـزافـييه كـوبـولاني: هو شخصية قيادية عسكرية، لها نفوذها السياسي، ويعتبر المؤسس الحقيقي لموريتانيا، وتؤكد الدراسات التاريخية عن دوره الاستعماري في تزعم دخول الفرنسيين إلى موريطانيا، وتعزيز وجودها، وبالرجوع إلى أعماله ونشاطاته، يتم الكشف عن السياسة الاستعمارية الفرنسية في المنطقة:

أ ـ التعريف بشخصيته: هو **كزافيي كوبولاني (Xavier Coppolany)** ولد في ترسيا بمنطقة مريانة في 1 فبراير 1866م، واستقرت غالبية أسرته في قسنطينة، وبعد إتمام دراسته بها، تقلد عدة مناصب ومهام في مقاطعتها الإدارية، أولها كاتب مراسل، ثم عين في ابريل 1885 كاتبا بالبلدية المختلطة لوادي الشرق، وفي يوليو 1896 عين إداريا مساعدا بنفس البلدية، وهكذا كسب الخبرة الإدارية، وعمل في المكاتب العربية، وحينها نشر بالتعاون مع ديبون كتابا عن الطرق الصوفية والدين الإسلامي.[3]

ب ـ المشاركة في تأليف كتاب الطرق الصوفية الإسلامية : قام بإتقان اللغة العربية، وألف الكتاب مع اوكتاف ديبون[4]، وقد توصل في دراسته عن الطرق الصوفية إلى النتائج التالية:

ـ أن إشعاعها الديني قد يمتد إلى بقاع شاسعة من المعمورة، لأنها تنقسم إلى فروع متعددة.

ـ العقيدة تحل محل الوطن في الأراضي الإسلامية، فكان يرى إنشاء مصلحة خاصة بالشؤون الإسلامية، هي مركز المعلومات الخاصة بالإسلام، التي تهم فرنسا، وتعطي توجيهات عامة للسياسة الاستعمارية فيما يتعلق بمحاربة أو كسب ود الطرق الصوفية.

ـ يرى أن احتواء الطرق الصوفية، وتحييدها، وكسب تعاطفها دون شعور منها هو عين الحكمة في التعامل معها. وهذا يمهد لاستخدام الزوايا كواسطة، يستغلها لربط علاقات سياسية وتجارية مع السودان

---

1) عفاف عباسي، **الاستعمار الفرنسي في موريطانيا (1903–1960)**، مذكرة لنيل درجة الماستر في التاريخ المعاصر، بقسم التاريخ – جامعة محمد خيضر – بسكرة ،2015، ص 48

2) نفسه، ص 48–50.

3) علي بدوي علي سالمان، المرجع السابق، ص 51.

4) Octave Depot , Xavier Coppolani, **Les Confréries Religieuses Musulmanes**, 1897.

الشرقي والغربي، وهو يضمن دخول أفكار الحضارة الفرنسية إلى الدول الإسلامية. [1]

وكشفت التقارير عن اتساع أفق كوبولاني وفهمه للإسلام، مما برزت إرهاصات جعلته منضر السلطة الفرنسية في المستقبل.

ـ رأى أن الخلاف الشكلي بين الطرق، يقابله أمر جامع للتوحيد بينها، هو مناهضتها للوجود الأجنبي، وتقتضي مصالح فرنسا إخضاع القبائل التي تتألف منها هذه الطرق عن طريق الاتصال بالمشايخ، ومحاولة كسب ودهم عن طريق الإقناع والإغراء، وهي السياسة التي مارسها في بلاد شنقيط، والمنهج الذي سار عليه في التعامل مع سكانها.

ج ـ مشروعه المرتقب: وحتى يصل إلى تنفيذ مشروعه الذي سطره في كتابه السابق، رأى أن يكون مسئولا عن البعثات للبلاد الإسلامية من أجل التعرف على بلاد السودان وشنقيط.

وفعلا تم تكليفه في نوفمبر 1898، من طرف حاكم السودان الجنرال ترنيتان للقيام بمهمة تقوده إلى السودان والساحل الجنوبي، على أن يلتقي بقبائل البيظان والطوارق من أجل التمكن من إخضاعهم. ووجدت البعثة دعما من حكومة الجزائر رغم طابعها المدني، ولم تستعمل أي جهاز عسكري، وانطلقت من سان لويس، لتصل إلى قبائل الحوض أولاد علوش، مشظوف وغيرها، وقد استقبل كوبولاني بحفاوة من طرف البيظان، وبفضل ثقافته العربية الإسلامية، نجح في مهمته، وحاول إقناع رؤساء القبائل بجدوى الخضوع لفرنسا، التي تحترم ممتلكاتهم ومعتقداتهم، ولها دوافع إنسانية في المنطقة.

وبعد انتهاء مهمته، عرض تقريرا يحتوي مخططا شاملا لتنظيم قبائل البيظان، وفيه معطيات، تساعد السياسة الفرنسية على مهمتها في الصحراء الغربية، ودور ماء العينين في الصحراء الغربية والساقية الحمراء، التي تشكل ملتقى هاما للطرق والقوافل، وضرورة إنشاء ما يسمى بموريطانيا الغربية التي تضم تحت قيادة واحدة كل القبائل. وتم اعتماد المشروع لإنشاء مستعمرة موريطانيا، بإنشاء مكتب للدراسات للتعرف على البلاد وكان مقره سان لويس وعين على رأسه كوبولاني وبمساعدة روم الحاكم العسكري فيها، وتمكن من ربط العلاقات مع أعيان القبائل، لأنه كان داهية وماكرا خداعا وطموحا، وحقق لفرنسا ما أرادت دون جهد عسكري يذكر على الأقل في عهده قبل اغتياله عام 1905. [2]

2 ـ مهام وأعمال كوبولاني: صار شخصية مؤثرة في المنطقة، وشرع في العمل لإثبات جدواه لدى السلطات، ومنه:

---

1) علي بدوي علي سالمان، المرجع السابق، ص 48.

2) نفسه، ص ص 49-52.

أ ـ الاتصال بالقبائل: بدأ المفاوضات وأرسل الرسائل لشيوخ القبائل، وتمكن سنة 1899 من التفاهم مع القبائل التي أعلنت خضوعها لفرنسا ظنا منها أن دور فرنسا في المنطقة، دور إنساني فقط، بغية حماية مواطني القبائل، والحفاظ على تجارتهم، واستطاع بسط نفوذ فرنسا دون مقاومة، ووصل إلى الطوارق وإقليم ازواد. [1]

انتقل كوبولاني إلى سان لويس في مارس 1901، لتجسيد فكرته، وبعد دراسة من اللجنة الوزارية الفرنسية، أوصت بأن يكون الاحتلال سلميا وبالتدريج، ولهذا الغرض أنشئت المصلحة الخاصة بشؤون البيظان(الموريطانيين) وأسندت مسؤوليتها لكوبولاني، وصار **المفوض العام** على موريطانيا. [2]

ب ـ وسائله السلمية لفرض سيادة فرنسا: أبدى مرونة في المعاملة، وحاول التوغل في المجتمع، وأوصى رجاله بالزواج من نساء موريطانيا لتعزيز مكانة فرنسا الاجتماعية، لكن السكان قابلوها بالرفض، لتعارضها مع قيم الدين الإسلامي.

كما حصل في 15 ديسمبر 1902، على مباركة لعمله عن طريق فتوى تحبذ الانضمام لفرنسا، وحدث ذلك في اجتماع ضم الشيخ سيديا، والشيخ سعد بوه، والمترجم أبو المقداد. ومن ثم بدأ الفرنسيون التمكن من القبائل، وعقد في 7جانفي 1903 اتفاقية أعلنت فيها قبيلة الترارزة خضوعها، مع تعهد فرنسا باحترام الدين الإسلامي والعادات والتقاليد. وتم إخضاع البراكنة في 1904 عسكريا، وجهز حملة عسكرية كبيرة لإخضاع تكانت، والوصول إلى أعالي نهر السنغال، ونجحت حملته، بالقضاء على قوات أدوعيش وتفريقها، والقضاء على أميرها بكار ولد اسويد احمد الذي رفض الاستسلام وذلك في 1أفريل 1905، وكان من نتيجته تأسيس مركز إداري له في تجكجة. [3]

3 ـ مقتل كوبولاني:

رأى سيدي ولد مولاي الزين، رؤيا في إحدى ليالي شهر ماي 1905، وهو على مشارف واد امحيرث، وتكررت عدة مرات، وحاول تفسيرها بحال بلاده المتدهور، وتسلط المستعمر الفرنسي، وكان يردد مع الشاعر الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا الكبير:

حماة الدين إن الدين صارا * أسيرا للصوص من النصارى

فـــان بادرتـموه تداركـــوه * وإلا يـسبق السـيف البـــدارا

---

1) عفاف عباسي، المرجع السابق، ص 51.

2) نفسه، ص 57.

3) عفاف عباسي، **المرجع السابق**، ص 60-63.

فقرر الذهاب إلى تجكجة[1] لقتل كوبولاني. ولكنه ـ قبل ذلك ـ اتجه إلى الشيخ محمد محمود بن الشيخ الكبير المعروف بالخلف شيخ الطريقة الغظفية[2] التي ينتمي إليها، وكان من المناوئين للاستعمار، ولما عرف قصده، شجعه على مراده، وأهداه سيفا بتارا، ليكون الأداة التي يقطع بها رأس كوبولاني. [3]

أعد سيدي ولد مولاي الزين، خطته التي تميزت بالسرية والجرأة، وانطلق رفقة عشرون مسلحا يحملون أسلحة من نوع قديم. [4] والتقوا بأحد أفرادهم الذي سبقهم واسر في القلعة، ثم أطلق سراحه، ويدعى سيدي ولد بوبيط، الذي حظي بعطف من مترجم الفرنسيين ابن المقداد المعروف محليا بدودو سك، الذي اقنع كوبولاني بإطلاق سراحه حتى لا تتضرر سمعة فرنسا.

وقد عرف ـ ولد بوبيط ـ ما يجري في القلعة، واخبر مولاي الزين، بان عدد الجنود في داخل القلعة 500 من المسلحين تسليحا جيدا ولديهم مؤن وذخيرة. وكانت الخطة أن يكون الهجوم ليلا يوم 12 ماي 1905 عند صلاة العشاء، ويتسللون مع الرعاة الذين يجلبون اللبن كل ليلة إلى القلعة. وتم تنفيذ العملية كما اعد لها، وقَتَل سيدي ولد مولاي الزين بسيفه كوبولاني، ورماه أحد المجاهدين بالرصاص في بطنه فمزق أحشاءه، وصاحبه التكبير، ثم وقع الاشتباك، فأصيب قائد المجاهدين سيدي ولد مولاي الزين بمسدس الضابط تيوفانه فاستشهد.

وبموت كوبولاني انتهي التوغل أو "الاحتلال السلمي" ليبدأ العمل العسكري من الفرنسيين، والمقاومة الشعبية المسلحة من أهل موريطانيا، وكانت عملية تجكجة أول عمل وطني رافض للاستعمار الفرنسي. [5]

وخلفه الرائد مونتاني، في الوقت الذي زادت فيه المقاومة على يد أمير ادرار ولد عيد، والشيخ ماء العينين، مما دفع الفرنسيين إلى تحصين مراكزهم الدفاعية، لحماية المناطق المحتلة، وإخضاع المزيد

---

1) **تجكجة:** مدينة بوسط موريطانيا، أنشئت سنة 1860 من طرف أفراد من قبيلة ادوعل القادمة من شنقيط، وتقع المدينة على ظهر هضبة تكانت، وتمثل عاصمتها، وهي مشهورة بالتمور. **ويكيبيديا الموسوعةة الحرة**، الاطلاع يوم 2017/10/23.

2) **الغظفية:** طريقة شاذلية أول مشايخها محمد الاغظف بن حمى الله ولد سالم الداودي الجعفري، وهي مؤسسة محلية التنظيم جمعت بين التربية والزهدية الشعبية والتنظيم الإنتاجي والتجاري المحكم والدور السياسي. أنظر: عفاف عباسي، **المرجع السابق**، ص 63-64.

3) سيدي محمد ولد حديد، **القصة الكاملة لمقتل قائد الحملة الاستعمارية الفرنسية، كزافييه كزبزلاني**، موقع الحصاد، الاطلاع يوم 2017/10/15.

4) عفاف عباسي، المرجع السابق، ص 65.

5) سيدي محمد ولد حديد، **القصة الكاملة لمقتل قائد الحملة الاستعمارية الفرنسية، كزافييه كزبزلاني**، موقع الحصاد، الاطلاع يوم 2017/10/15.

من الأراضي الموريطانية. [1]

ـ الخاتمة:

لا شك أن الاستعمار الفرنسي في الجزائر وسائر البلاد الإفريقية، تمكن من تثبيت حكمه وفق مراحل، كان منطلقها المحوري منذ احتلال الجزائر في 1830، وهو الحدث البارز في التاريخ الحديث، والذي غير مسار العلاقات، وفتح الباب على مصراعيه للدول الأوربية التي كانت تتنافس على القارة منذ القرن الخامس عشر، وتتواجد في السواحل، وتؤسس المحطات، ولكنها تحجم عن التوغل في أعماق الصحراء، بسبب التحديات والأخطار التي تواجهها، وهذا تطلب جهودا، حاول هذا الموضوع حصرها، ويمكن التنويه به وعرضه:

ـ كان التواجد الفرنسي في الساحل الغربي لإفريقيا في القرن السابع عشر، وكان في إطار التنافس مع الدول الأوربية وخاصة بريطانيا، وفي أواخر القرن التاسع عشر تمكنت من التمركز في سان لويس بالسنغال وكانت محطة للقيادة، والامتداد نحو الداخل، بواسطة المستكشفين، والحملات العسكرية في نهاية المطاف.

ـ كانت موريطانيا تدعى بلاد البيظان، وحتى القرن التاسع عشر مجهولة الداخل، مما دفع كزافييه كوبولاني إلى المبادرة بالذهاب إليها بدعم من الحاكم العام في الجزائر، مستغلا دراسته التاريخية والاجتماعية حول الطرق الصوفية، ومعرفته بالعربية، وحفظه لسور من القرآن الكريم، وهي ثقافة مكنته من التعامل السلس مع شيوخ القبائل، ورجال الطرق الصوفية، وتمكن من إقناعهم بجدوى التعاون مع فرنسا، مقابل حماية تجارتهم، مع تعهد فرنسا بالحفاظ على دينهم وعاداتهم. فكان التغلغل الأول سلميا.

ـ كانت عبارات كوبولاني قوية، مثلما ورد في رسالته المرفقة بالموضوع والتي أرسلها إلى الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ أحمدو ولد اسليمان الديماني، والتي عرضتها كاملة في الملحق، ومما ورد فيها: (وإني أحب أن أجعل العافية في جميع أراضي البيظان ... وأول ما لا بد منه لقبائل مثلِكم ساكنةٍ أرضَ الصحراء لا حمى لها ولا قدرة، وما شأنها إلا العبادة والأمان والعافية. وذلك لا يمكن ولا يصح إلا بالمعية مع الدولة الفرنسية التي لها القدرة الوافرة على جعل العافية، وبيدها إعطاء الأمان واليوم فإني أحب أن تزول الحروب الواقعة بين القبائل لتستقيم التجارة، وتأتي القوافل في أمن وأمان،...). كما استغل الفتاوى من الشيوخ للتمهيد للفرنسيين، ونجح في مهمته.

---

1) عفاف عباسي، المرجع السابق، ص 65.

ـ استطاع كوبولاني أن يجعل من موريطانيا بلدا له كيانه الواضح، ويحول ارض البيظان، ويطلق عليها اسم موريطانيا، والتي قسمت إلى خمس مناطق، (منطقة ازواد في الشرق وقاعدتها أروان، وتكانت في الوسط، وقاعدتها تيشيت، وآدرار في الشمال، وقاعدتها شنقيط، وأكان في الجنوب الغربي، وقاعدتها أنجاكو) . ولكن تم بتر الساقية الحمراء ووادي الذهب في جزئها الشمالي ، بموجب معاهدة مع اسبانيا في 27 يونيو 1900.

ـ لم يستمر في سياسته السلمية، واستفز القبائل بحملات عسكرية لإخضاع المتمردين، ولم تمنعه قلعته المحصنة من الأخطار، ولقي حتفه من قبل أحد أتباع الطرق الصوفية التي ظن أنه فهمهم، وتمكن منهم، فكان مصيره على أيديهم، واشتعلت شرارة المقاومة الشعبية منذ 12 ماي 1905، وتوازيها السياسة الاستعمارية بعملها العسكري، ومخططاتها الردعية.

الوادي : يوم الثلاثاء 03 صفر 1439هـ

24 أكتوبر 2017 م

أ.د. علي غنابزية ـ قسم العلوم الإنسانية

جامعة الشهيد حمه لخضر ـ الوادي

الملحق:

رسالة كوبولاني إلى الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ أحمدو ولد اسليمان الديماني

ولعل الرسالة التالية، المكتوبة بخط يمين كوبولاني مؤسس موريتانيا، باللغة العربية إلى الوجيه البارز الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ أحمدو ولد اسليمان الديماني؛ تعبر عن روح تلك الرؤية المتمثلة في "التوغل السلمي القائم على أساس فهم القلوب والمصالح":.

الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده أما بعد:

فإنه من أمير اندر الذي بيده أمور إفريقيا الغربية إلى الشيخ سيدي محمد بن الشيخ أحمدو بن سليمان. السلام التام الطيب العام. موجبه أن تعلم بأني قدمت ثانية للإمارة على هذه البلاد، وإني أحب أن أجعل العافية في جميع أراضي البيضان التي في نواحي سنگال. وأول ما لا بد منه لقبائل مثلِكم ساكنةٍ أرضَ الصحراء لا حمى لها ولا قدرة، وما شأنها إلا العبادة والأمان والعافية. وذلك لا يمكن ولا يصح إلا بالمعية مع الدولة الفرنسية التي لها القدرة الوافرة على جعل العافية، وبيدها إعطاء الأمان واليوم فإني أحب أن تزول الحروب الواقعة بين القبائل لتستقيم التجارة، وتأتي القوافل في أمن وأمان، ويشتغل الكل في منافعه غيرَ خائفٍ على كسبه من أهل الفساد. وإني أحب أن أكون حمًى للمظلوم، وأن أنصره وان أجازيَ أهلَ الخير والإحسان، كما أعاقب أهل البغي والفساد اشدَّ العقوبة وقد بلغني أنك ممن يشار إليه في هذا الأمر وأنك بمنزلةٍ عندَ أهل بلدكَ، وذو جاهٍ فيهم. وإني متيقنٌ أن لكَ من العقل ومن الخصال الجميلة ما يحملك على مساعدة كل من نيته إصلاح الرعية من أهل الملك نصارى كانوا أو مسلمين. ومع علمي أنك من أهل هذا الأمر فإني أحب أن أكلمكَ وأن أسمع منكَ، ولذلك أطلب منك أن تأتيَ اندرْ عاجلا بلا تأخير وعليك بإذاعة هذا في طريقك، أي أن تُذَكِّرَ كلَّ من رأيتَ بأني أريدُ أن أقفَ مع من هو من أهل عهدنَا، وهم أهل الخير والإحسان، وأهجرَ أعداءنا وهم أهل الشر والفساد. فكل من أتانا يكون مكرما ومبجلاً، ويُساعدُ على إتباع دينه، لأني أكون أبًا لجميع الناس، وليخبر الحاضرُ الغائبَ ليلا يخفى ذلك على أحدٍ، وليلا يجهله أحد واعلمْ بأن الملك بيد الله يؤتيه من يشاء، ومن أطاعه فقد فاز، ومن الدين عون المؤمن لأخيه والسلام.